

بيني وبينك مفقود

ثلاثون عاماً قد مرّت منذ انتهاء الحرب الأهلية اللبنانية، ولا يزال مصير ومكان وجود الآلاف من الأشخاص الذين فقدوا خلال هذه الحرب مجهولاً.

يواجه لبنان حالياً العديد من القضايا الطارئة الأخرى، وذلك يحيل دون القدرة على جعل مسألة التطرّق إلى قضية المفقودين مسألة ذات أولوية.

=> دأبت عائلات المفقودين على سماع هذه الجملة لمدة 30 عاماً. ولكن معالجة هذه القضية ليست بترف، فيمكن أن تتم معالجتها في نفس الوقت الذي يتم فيه معالجة القضايا الأخرى. ثمة إمكانية أن الأشخاص الموجودين في السجون السورية لا يزالوا على قيد الحياة. حتى عائلات المفقودين الذين قد فقدوا الأمل وتخلوا عن فكرة رؤية أحبائهم مجدداً، لا تزال لوعتهم مستمرة بسبب الغموض الذي يلف مصير أقاربهم المفقودين. يمكن لمعاناتهم أن تصل إلى أقصى حد من التعذيب.

مرور الزمن سيساعد الأهالي على نسيان هذه المأساة. إن معظم أقارب المفقودين قد طووا الصفحة. لماذا تريد إعادة فتح جراح هؤلاء الناس الذين يريدون ان ينسوا؟ أما بالنسبة لأقارب المفقودين حديثي السن، فلا وجود لهذه القضية في حياتهم. هؤلاء سوف يدعون القضية تتلف وتموت.

=> الوقت هو جوهر المسألة. إذا لم نتصرف، الآلاف من آباء وأمهات المفقودين قد يموتون قبل معرفة مصير أبنائهم. هذه العائلات لم تقوم ب"طي الصفحة". هي فقدت الأمل فقط. هذه العائلات تعاني لوحدها من تلك الصدمة المستمرة الناجمة عن عدم اليقين، وهي تشعر بأنها قد تخلت عنهم. كيف يمكن لأي شخص أن يفكر خلاف ذلك بينما نسير جميعاً مدركون لذلك أو لا؛ على قبور جماعية تُرك فيها العديد والعديد من مواطنينا إلى يومنا هذا.

الوقت هو أيضاً جوهر المسألة لأن الكثير من أولئك الذين يعرفون ما حدث للمفقودين قد يفارقون الحياة، ومع وفاتهم نحن نخسر أي فرصة لتقديم أجوبة لعائلات المفقودين. أضف إلى ذلك نسبة الخطورة العالية بأن تتصنّر العديد من القبور جراء عمليات البناء، وبالتالي تُدمر إمكانية التعرف على هويات الرفات واستخراجها من أجل إعادة تأقاربها. هل يجب علينا أن نقبل يمثل هذا الفعل من العنف المُستتر؟

يجب علينا أن نتصرف أيضاً لأن كشف مصير المفقودين وماضيها الصعب هما أولوية لمنع أية أعمال عنف جديدة. إذا قمنا بمسح هذه المأساة من ذاكرتنا الجماعية، نكون قد منعنا الجيل الجديد من التعلم عن الضرر الناجم عن الحرب الأهلية ومن فهم لماذا يجب علينا تجنبها بشتى الوسائل.

حسناً، ولكن ماذا تقترح؟ لقد قام العديد من الناس بالحشد في الماضي. ولا يزال الأهالي والجمعيات يقومون بخلق المبادرات إلى يومنا هذا. إلا أن جميع هذه الجهود قد قوّضت بسبب غياب الإرادة السياسية. كيف يمكننا الاعتماد على الزعماء السياسيين والكثير منهم قد أشرّفوا على عمليات الخطف، وليس لديهم مصلحة في حل هذه المشكلة. هل تعتقد حقاً أنهم سوف يقبلون بإطلاق النار على أنفسهم في القدم؟

=> أجل، لقد قامت العائلات والجمعيات بعملٍ ضخمٍ وقد استطاعت من خلال الضغط المستمر التوصل إلى نتيجة. فلقد تمكنا من جعل البرلمان يناقش مشروع قانون يقضي بإنشاء لجنة تحقيق. ونحن ندعم جهودهم بشكل كامل. فلا يمكن أن يكون هناك أية تسوية في ما يتعلق بمسؤولية السلطات عن الكشف عن مصير المفقودين.

ولكن يوجد وسائل أخرى كذلك. وسائل تكمل جهود الضغط. نحن لا نقترح حلاً خارقاً. ولكن دعونا نخرج من السرد الذي يقول أنه لا يمكن فعل شيء طالما لا توجد إرادة سياسية. دعونا ننظر إلى ما يمكننا تحقيقه كمواطنين. الكشف عن مصير المفقودين والكشف عن ماضيها هما مسؤوليتنا أيضاً. وجيل الشباب يمكن له أن يلعب دوراً حاسماً. فنظراً لضيق الوقت، لا بد من البحث عن حلول جديدة والانخراط بدديناميكية جديدة.

تسعى جمعية لنعمل من أجل المفقودين إلى إشراك الشباب في جهود تهدف إلى جمع معلومات يُمكن أن تساهم في الكشف عن مصير المفقودين في المستقبل. كما تهدف إلى إشراكهم في مبادرات للذكرى في مواقع فقد فيها العديد من الناس.

حسناً، ماذا بإمكاننا أن نفعل بشكل ملموس؟

كخطوة أولى، تدعو جمعية لنعمل من أجل المفقودين أقارب المفقودين الشباب (ذوو قُربى مباشرة أو بعيدة) والذين هم بين سن العشرين والأربعين للمشاركة في عدة نقاشات تتمحور حول الأسباب الجذرية التي تفصل الشباب عن قضية المفقودين، وأرائهم حول الأسباب التي تمنع وجود أية إصلاحات، بالإضافة إلى محاولة إيجاد حلول جديدة. بناءً على نتائج هذه المناقشات، سوف يقوم الشباب بتصميم أداء فني تفاعلي. وسُعرض هذا العمل في منطقتين يتم إختيارهما وسيُتبعه منتدى للنقاش مع المجتمع حول مدى إستعداد الناس النظر الى الماضي ومواجهة مسؤولياتهم، ومشاركة المعلومات التي بإمكانها أن تساهم في الكشف عن مصير المفقودين. سوف تُدار هذه المحادثات لإنشاء حوار بين الأجيال؛ بين الجيل الذي عاش خلال الحرب والجيل الجديد.

بعد الإنتهاء من هذه المنتديات، سيقوم شباب المنطقتين المختارتيين بحضور ورشة عمل حيث سيتعلمون كيفية جمع المعلومات من آبائهم وجيرانهم والناس في مجتمعاتهم. بعد القيام بالعمل البحثي، سيقوم الشباب بوضع خرائط للأماكن التي فُقدت فيها الأشخاص. وسوف يستمر هذا التعمير في المستقبل ليشمل المعلومات من مناطق أخرى. أخيراً، سوف يقوم الشباب بإختيار البعض من هذه المواقع لكي يقوموا بتصميم وتنفيذ مبادرة ذكرى (لوحة، هاشتاغ، كتابة على الجدران، إقامة معرض، إلخ.) والتي تهدف إلى تكريم أولئك الذين فُقدوا هناك وحماية هذه الأماكن كمواقع هامة للتذكير بما قد حدث.